الموضوع: الفقه الإمامي ذخر ثمين وبحر عميق

المناسبة: المؤتمر العلمي التخصصي الأول لدائرة معارف الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت(عليهم السلام)، وقد ألقيت هذه الكلمة من قبل الشيخ محسن الأراكي[1].

الزمان والمكان: 21 شعبان 1414هـ – معهد القضاء العالي في قم المقدسة

الحضور: المشاركون في المؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤتمر العلمي ــ التخصّصي الأول لدائرة معارف الفقه ينبأ عن تحول مبارك بنسق قويم ومستمر كان الجميع ينتظره في الحوزة العلمية بقم المقدّسة.

إنّ تدوين دائرة معارف الفقه طبقاً لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) عمل جديد يستند إلى أسس ووسائل لم يكن للحوزة العلمية سابق معرفةٍ بها.

وعندما يظهر للوجود عمل بهذه الخصوصيات فإنّه يدعو الناظر أن يحكم عليه بالتفاؤل والإيجابية.

---

[1] آية الله الشيخ محسن الأراكي (1956–..) مجتهد وعالم دين إسلامي شيعي ، مؤسس المركز الإسلامي في إنجلترا، عضو سابق في مجلس خبراء القيادة في إيران وأحد أبرز علماء الدين الإيرانيين من تلامذة المرجع الديني والمفكر الإسلامي محمد باقر الصدر ومن الذين أفادوا من الحوزة العلمية في النجف والحوزة العلمية في قم على حد سواء، وهو يجيد العربية كلغته الأم كما يجيد الإنجليزية ويكتب بها.

إنّ الفقه الإسلامي المصطلح يحتوي على مجموعة كاملة من الأبحاث التي تُسمّى في العرف العلمي المعاصر (علم الحقوق) الذي يمتلك مجالات متنوّعة تتكفّل بمجموعها تنسيق العلاقات بين أبناء المجتمع البشري، ويشتمل أيضاً على القوانين والأنظمة التي تتحكم بحياة الإنسان من الجوانب المختلفة.

وبالإضافة إلى هذا يتكفّل الفقه بتوضيح علاقة الإنسان مع ربّه أيضاً، وذلك في إطار مجموعة من الأحكام القويمة والمفصّلة والتي يعجز علم الحقوق عن تناولها.

وعلى هذا الأساس فإن الفقه الإسلامي المصطلح أوسع بكثير من علم الحقوق العالمي المصطلح.

ومن بين مذاهب الفقه الإسلامي المختلفة يتميز الفقه الإمامي باحتوائه على ذخائر ثمينة وبحر عميق من التحقيق والتفريع لا يمكن العثور على مثيل له في فقه المذاهب الإسلامية الأخرى، وقد أضفى هذا على الفقه الشيعي عمقاً متميزاً ليس له نظير.

ومنذ نشوء الفقه التفصيلي والاستدلالي عند الشيعة في القرن الرابع الهجري وحتّى اليوم، أخذت هذه المعرفة الدينية بالتوسّع والنضوج يوماً بعد يوم، وبالتدريج تطوّر أسلوب وطريقة الاستنباط المتقن والقويم الذي هو أسلوب الفقاهة وعلم أصول الفقه إلى مرحلة تدوين وتحكيم فروعهما وأصولهما.

وفي هذا المجال فإن الجهود الموفّقة لآلافٍ من الفقهاء الشيعة البارزين بينهم مئات المؤلّفين المشهورين وعشرات الفقهاء من أصحاب المدارس المبدعين، تجسِّد أمامنا حجماً عظيماً من حركة متنامية تمتد جذورها إلى ألف عام، ولها إنتاج علمي يثير الإعجاب.

إنّ هذا الكنز الثمين والنادر نجده اليوم تحت تصرُّف واستفادة فقهاء الشيعة البارزين، ولحدٍّ ما آحاد الناس المتديّنين.

مسؤوليتنا تجاه الفقه الإمامي

إنّ تكريم هذه الثروة المعنوية تلقي ثلاث مسؤوليات رئيسية على عواتق جميع المختصّين، وكلّ من لهم علاقة بالفقه الإمامي.

وهذه المسؤوليات الثلاثة هي: التعريف، الاستثمار، التكميل.

والمسؤوليتان الأوليتان ناظرتان للماضي والحاضر، والمسؤولية الثالثة ناظرة للمستقبل.

ومن المناسب التعرّض باختصار لكلّ واحدة من هذه الأمور الثلاثة:

1 ــ التعريف:

الفقه الشيعي مجهول وليس له مكانة ــ غالباً ــ عند غير المسلمين الذين يمتلكون معلومات عن الفقه الإسلامي، وفي الكتب الفقهية الاستدلالية التي تُؤلّف من قبل غير الشيعة لا تذكر آراء الفقه الشيعي، أو يُغفل عنها أغلب الأحيان.

وفي دوائر المعارف العالمية وحتى الإسلامية تعتبر آراؤه في عداد الآراء الفقهية للمذاهب المهجورة، وهذا ظلم عظيم لعلمٍ بهذا العمق والشمولية والتقدّم بحيث يمكن القول بأنّ أيٍّ من المذاهب الإسلامية لا يمتلك لوحده فقهاً بهذه الخصوصيات الثلاث، وهو ظلم على الذين يريدون الاستفادة من هذا الفقه أيضاً.

إنّ التعريف بهذا الفقه وجرِّه وإدخاله إلى المجاميع العالمية والكتب الفقهية للمذاهب الإسلامية الأخرى والدراسات الحقوقية للمراكز العلمية

العالمية هو خدمة للعلم والعلماء، ولابدّ أن يتمّ هذا العمل بطريقة صحيحة ومنطقية.

2 ــ الاستثمار:

على مدى عدّة قرون لم يُستثمر الفقه الإسلامي وبضمنه الفقه الشيعي إلا في الأمور الشخصية والأحوال الفردية للإنسان المسلم.

وبعد قيام الثورة الإسلامية أصبح الفقه الشيعي ــ دفعة واحدة ــ عرضة لعمل وتطبيق المجتمع، وتبعاً لذلك ومسايرةً لموجة التوجّه الإسلامي لدى الشعوب الإسلامية أصبح فقه المذاهب الأخرى قريباً من أن يكون مصدراً لسنّ القوانين في بعض الدول الإسلامية.

إنّ مظاهر الحياة المتجدّدة يوماً بعد يوم والمعروضة على الفقه في مقام السؤال والاستفتاء، لابدّ من الإجابة عليها وتوضيح أحكامها بشكلٍ مقنع ومستدل.

بالإضافة إلى ذلك يمكن الاستفادة من الفقه المعاصر ــ الذي يتمتّع بالدقّة والقوّة والتعقيد في الاستدلال ــ في تكميل وتطوير علم الحقوق وفتح طرق جديدة أمام محقّقي مراكز القانون في العالم.

3 ــ التكميل:

مع التقدّم العلمي والفنّي والصناعي الذي كان له التأثير الكبير على جميع شؤون حياة الإنسان والمساهمة في مضاعفة وتسارع الأحداث وبروز مظاهر جديدة للحياة، ازدادت ــ وبنفس النسبة ــ عدد الموضوعات التي لابدّ للفقه أن يجيب عليها ويبيّن أحكامها.

وممّا لا شكّ فيه أنّ المنابع الفقهية وأسلوب الفقاهة تكفيان لمعرفة وفهم الحكم الشرعي لتلك الموضوعات، ولكن المعرفة الموضوعية لتلك الموضوعات والتحقيق والتدقيق اللازم من أجل تطبيقها على العناوين

الكلّية في الفقه والاستدلال المناسب والأسلوب الأمثل لاستنباط أحكامها عمل شاق وفي غاية الأهمّية.

ولعلّ هناك بعض الموضوعات التي بُيِّنت أحكامها في السابق قد طرأ عليها من التغيير والتحوّل ما جعل من المتعذر تطبيق نفس الأحكام السابقة عليها بسهولة في الوقت الحاضر.

ففي مثل هذه المواد لابدّ لفقهاء العصر وبالاعتماد على دقّة النظر والإحاطة العلمية والالتزام بأسلوب الفقاهة من جهة، والحرية في التفكير والشجاعة العلمية من جهة أخرى من اكتشاف مفاهيم فقهية جديدة وعرض أحكام جديدة مستندة إلى الكتاب والسنة، وهذا هو معنى تكميل الفقه.

وبالإضافة إلى كلّ هذه الأمور فإن الاستفادة من الأساليب الجديدة في تدوين وكتابة الكتب والرسائل الفقهية ــ العامّة والتخصصية ــ والاستفادة من الطرق الحديثة في التحقيق الفني والعلمي، وكذلك الاستفادة من الأساليب المتطوِّرة في البحث العلمي، واستعمال الوسائل التي تساهم مساهمةً فعّالة في تسهيل الأعمال العلمية، كلّها تساعد على أداء واجب تكميل الفقه.

ومن اللازم أن أعلن بصراحة أنّ تدوين دائرة المعارف الفقهية طبقاً لمذهب أهل البيت(عليهم السلام) هو عمل كبير ومؤثّر في مجال إنجاز المسؤوليات الثلاث التي سبق ذكرها.

إنّ هذا المشروع الواسع والقيّم يستطيع في آنٍ واحد تقديم خدمات عظيمة في مجال التعريف بالفقه الشيعي، واستثماره العلمي والعملي، وتكميله وتوسيعه.

وإنّنا نشكر اللّه الحكيم العليم على توفيقه للمجتمع العلمي والفقهي لهذا العمل والذي شرعت الحوزة العلمية بقمّ وللمرّة الأولى بتهيئة وتوفير مقدّماته.

كما أرى من اللازم تقديم شكري وتقديري لجميع العلماء والفضلاء الذين ساهموا في هذا المشروع الكبير وشمّروا عن ساعد الجدّ من أجل إنجازه، وبالأخص الفقيه المحقّق والعالم الكبير سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الحاج السيد محمود الهاشمي (دامت بركاته)، والذي أظهر إلى الوجود آمالي القلبية بإنجاز مثل هذه المشاريع بعلمه الواسع وفكره المتقدِّم وهمّته العالية ومقدرته العلمية.

وإنّ البداية المشرقة لهذا العمل أحيت آمال أخرى في القلوب.

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته